Afro-Asian Journal of Scientific Research (AAJSR)
المجلة الأفروآسيوية للبحث العلمي (AAJSR)
EISSN: 2959-6505
Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 144-152
Website: https://www.aajsr.com

دخول موطأ الإمام مالك في عهد الأدارسة إلى المغرب

د. الناجي المرسلي*
باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال، المملكة المغربية

Muwatta Imam Malik Entered Morocco During the Idrisi Period

Dr. Al-Naji Al-Morsli*
Researcher, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Sultan Moulay Suleiman, Beni Mellal, Morocco

*Corresponding author	najielmorsli14@gmail.com	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2023-05-08	تاريخ القبول: 2023-04-28	تاريخ الاستلام: 2023-04-02

الملخص

من خلال هذا البحث سليط الضوء حول دخول موطأ ظلال امام إلى المغرب الأقصى في عهد الدولة الإدريسية، لكونه كان أول كتاب في الحديث والفقه دخل إلى المغرب الأقصى، أدخله عامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي اتخذه المولى إدريس الثاني قاضيا لما كان عليه من الورع والفقه في الدين، وتعتبر المدرسة المالكية في المغرب الأقصى امتدادا لشجرة المذهب المالكي التي نبتت في المدينة المنورة وامتدت فروعها إلى جميع الأصقاع كالقيروان بتونس والأندلس وفاس في المغرب الأقصى.

الكلمات المفتاحية: موطأ الإمام مالك، الأدارسة، المغرب الأقصى، ادريس الثاني، عامر بن محمد القيسي

Abstract

Through this research, a light is shed on the entry of the shadows of Imam to the Far Maghreb during the era of the Idrisid state, because it was the first book in hadith and jurisprudence that entered the Far Maghrib, entered by Aamer bin Muhammad bin Saeed al-Qaisi, who was taken by Mawla Idris II as a judge for what he was of piety and jurisprudence In religion, the Maliki school in Al-Aqsa Morocco is considered an extension of the tree of the Maliki school of thought that grew in Medina and its branches extended to all parts such as Kairouan in Tunisia, Andalusia and Fez in Al-Aqsa Morocco.

keywords: Muwatta Imam Malik, al-Adārisah, Al-Maghrib Al-Aqsa, Idris II, Amer bin Muhammad Al-Qaisi

المقدمة

قد عرفت بلادنا منذ بدء الحركة العلمية فيها على إثر الفتح الإسلامي ويعتبر المولى إدريس الأول من الفاتحين حينما فر بنفسه من الرشيد الذي اضطهد شيعته الخارجين عليه فكان دخول هذا الفرع الزكي إلى المغرب الأقصى فاتحة عصر جديد الذي طالما طاقت له النفوس واشرأبت إليه الأعناق.

وما إن دخل تراب هذا القطر الساذج ـ المغرب ـ حتى وفدت عليه القبائل المغربية مبايعة داخلة في طاعته، فبدأ أعماله بتأسيس الدولة الإدريسية سنة(172هـ) بمساعدة عبد الحميد الأوربي والي مدينة وليلي، وسعي مولاه راشد ،وهي أول دولة عربية مستقلة عن العباسيين على يد

المولى إدريس بن عبد الله الكامل أواخر القرن الثاني الهجري ،وقد اختار سكان هذا القطر مذهب الإمام مالك لأن المغاربة اقتصروا الرحلة إلى الحجاز حينما يتوجهون إلى الحج والمدينة يومئذ دار علم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم ولا مطمح أنظارهم.

والمغاربة أكثروا من الرحلة إلى المشرق من أجل طلب العلم ولا يمكن حصر تلك الرحلات، قال الشهاب المقري: "إن حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يعلم على الإحاطة إلا علام الغيوب."

ومهما يكن من أمر فإن فقهاء المغرب الأقصى شدوا الرحال للأخذ عن إمام دار الهجرة ورواية ما يمليه الذي سارت بذكره الركبان، وتمكنوا من موطأ الإمام مالك وخير دليل على ذلك كثرة الروايات التي رواها العلماء المغاربة منها رواية يحيى بن يحيى الليثي وغيرها من الروايات.

وعليه: فإن هذا البحث الذي يعنى بدخول الموطأ إلى المغرب الأقصى فقد ارتأيت أن يكون وفق الخطة التالية:

إشكالية البحث:

تتضارب الروايات التاريخية أن المذهب المالكي انتقل إلى المغرب الأقصى من الأندلس وأن المغاربة قبل اعتناقهم للمذهب المالكي كانوا على مذاهب شتى من حنفية وخارجية ومعتزلة إلى غير ذلك كمذهب الأوزاعي وقد خالف هذا الرأي الإمام الكتاني بقوله إن المولى إدريس الأول كان على مذهب الإمام مالك ودعا الناس للأخذ به واتباع منهجه وجعله مذهبا رسميا للدولة معززا ذلك بقوله (نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه الموطأ).

وهذا الأخير في اعتقادي ـ والله أعلم ـ هو الرأي الراجح للأسباب التي سأذكرها في هذا البحث المبارك بحول الله تعالى إذن: فمن هو المولى إدريس الأول وخلفه المولى إدريس الثاني؟ وإلى من ينتسب؟ وما هو الكتاب الحديثي الذي ظهر في عصره؟ ومن هم رواد الحديث في عصره؟ وهل يعتبر موطأ الإمام مالك كتاب حديث أو فقه؟ وماهي أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى؟

أهمية الموضوع:

هذا الموضوع كما تعلمون له أهمية كبيرة لأنه يتعلق بموطأ الامام مالك الذي هو مرجع المالكية بالدرجة الأولى خاصة وأن المغاربة منذ عهد طويل ـ المولى إدريس الأول ـ وهم متمسكون بهذا المذهب وبالتالي ينبغي علينا معرفة صاحب المذهب وموطأه وأقوال العلماء فيه وهو موضوع من الأهمية بمكان لأنه من توابث امتنا المغربية، خاصة دول المغرب العربي الكبير.

خطة البحث

صغت بحمد الله مخطط هذا العرض في مقدمة وخمسة مباحث قصيرة وخاتمة على الشكل التالي:

قمت في المبحث الأول: التعريف بالمولى إدريس الأول وخلفه المولى إدريس الثاني وأهم المراكز العلمية في عصرهم.

وأما المبحث الثاني: عرفت بمؤسس المدرسة المالكية التي كانت على يد المولى إدريس الأكبر.

وفي المبحث الثالث: أبرزت فيه بأن موطأ الإمام مالك كان هو أول كتاب حديثي دخل إلى المغرب في عصر الأدارسة.

المبحث الرابع: ذكرت وأبرزت فيه بأن الإمام مالك كان إماما محدثا

وأما المبحث الخامس: ذكرت فيه أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى، ثم ذكرت فيه الخاتمة، وأهم المصادر والمراجع.

ولا يفوتني بهذه المناسبة أن أتوجه بالشكر الجزيل للعلماء المشرفين على مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي.

أسأل الله تعالى أن يتقبل منا ومنكم هذا العمل الكريم الذي يصب في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، غدا يوم لقاء الله يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، هذا فما كان من سداد

وصواب فمن الله وما كان من خطا فمن نفسي ومن الشيطان وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم.

المبحث الأول: التعريف بالمولى إدريس الأول وخلفه المولى إدريس الثاني وأهم المراكز العلمية في عصرهم.

مرحلة التأسيس

يقول صاحب سلوة الأنفاس:

قدم المولى إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه. فارا من الرشيد الخليفة العباسي الذي كان قد اضطهد شيعته الخارجين عليه، وشتت بعضهم، وقتل آخرين في الوقعة الشهيرة بوقعة فخ التي كانت سنة 169هـ موضع بقرب مكة على مسيرة ثلاثة أميال، ونزل بها في غرة ربيع الأول سنة172هـ، وبها يومئذ عبد الحميد أو إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي المعتز لي أمير أوربة وكبيرهم فأجاره وجمع البربر لمبايعته والقيام بدعوته فبايعوه يوم الجمعة يوم: 14 من شهر رمضان من السنة المذكورة بأوربة التي تنتسب الى البرانس س.

والدولة الإدريسية هي أول دولة مغربية مسلمة مستقلة في المغرب، ومنذ أسسها المولى إدريس المذكور، ووطد دعائم الحكم فيها، وهو يجيش الجيوش، ويجهز الغزاة، ويخرج بهم لقتال الخوارج وقمع فتنتهم، وقتال المرتدين والوثنيين وخضد شوكتهم، وهكذا ظل يجوب في المغرب طولا وعرضا، يجاهد في سبيل الله، حتى استقام له المغرب على الإسلام، وصلح حاله به، فكان ذلك فتحا ثالثا بعد فتح عقبة بن نافع وموسى بن نصير .

فقام رضي الله عنه بنصرة دين الإسلام حتى طهر الله به المغرب من أنواع الضلال، وتوفي رحمه الله مسموما في مهل ربيع الأول سنة 177هـ، وقد ضايق العباسيون الأدارسة منذ قيام دولتهم حتى أنهم عملوا على تأسيس دولة الأغالبة في إفريقية لهذا الغرض، وقد كان هناك اصطدام حقيقي بجيوش العباسيين، قبل ان يضطر الرشيد إلى توجيه بن جرير فقد استعمل على إفريقية روح بن حاتم وأمره أن يغزو مناطق النفوذ الإدريسي، فلم يحصل على طائل.

دور العظمة: المولى ادريس الثاني (177 -213هـ)

ترك ادريس الأول الذي دفن بزرهون جنينا في بطن أمه كنزة البربرية، ولم تلبث أن وضعته فسمته باسم والده بينما تولى أمور الحكم راشد بموافقة البربر، حتى إذا كانت سنة (188) هـ، تمت مبايعته وهو بعد في مطلع العقد الثاني من عمره، ثم سار في الناس بسيرة سلفه الصالح وقد ظلت أوربة وفية للأدارسة حتى بعد مقتل زعيمها إسحاق الأوربي، وقد التجأ إليها علي بن عمر بن إدريس بعد ثورة عبد الرزاق الخارجي المديوني الصفري.

وقد واجه صفرية البربر وقضى على دعوتهم، وكانت وفاته سنة213هـ، بعد إن امتد حكمه من السوس الأقصى إلى واد شلف.

- محمد بن إدريس(213-221)

ترك ادريس الثاني (12) ولدا ذكرا. وقد عهد بالأمر إلى ابنه محمد الذي قسم المغرب بين إخوته بأمر كنزة جدته، وكان هذا التقسيم ضرر على الدولة.

- علي بن محمد(221-234)،

عهد إليه أبوه محمد قبل وفاته، ولم يقع في عهده ما يستحق الذكر، وقد تولى الحكم صغيرا، وكانت الأحوال مرضية في عهده لاجتماع الكلمة عليه، ولقب بحيدرة الذي هو لقب الإمام علي كرم الله وجهه.

دور الضعف(234-375) هـ.

فقد اضطربت الأحوال في هذه الفترات ولم يكف الوقت لبيان هذه الحقبة التي تعاقب فيها الكثير من الملوك، وقد تولى فيها يحيى بن محمد وولده يحيى سنة (234). وقد اتسع العمران في عهده

وبني مسجد القرويين، ثم جاء بعده يحيى الذي أساء السيرة بمعاقرته الخمر والاعتداء على أعراض النساء، وقد سقطت دولة الأدارسة لأسباب داخلية منها:
1- تقسيم المملكة بين أمراء العائلة المالكة 2 - عدم قدرة السيطرة على جميع أجزاء مهمة التراب المغربي - إهمالهم أو يأسهم من القضاء على المذاهب المتناقضة التي تخالف روح الإسلام في أغلبها 3- عدم تأسيس حكومة جيش قويين يساعدان على إقرار هيبة الدولة .
وأما الأسباب الخارجية منها:
المراكز العلمية في عهد الأدارسة: - تدخل الفاطميين الذي استغرق تدخله بالمغرب حوالي 60 سنة - تدخل الأمويين بحيث كانوا يخشون تسرب النفوذ الفاطمي الى المغرب ويرون في ذلك تمهيدا لاستيلاء الفاطميين على الأندلس مما أهاب بعبد الرحمن الناصر أن يعلن نفسه خليفة حتى يجابه بذلك خلافة الشيعيين بوصفه سنيا.

- مدينة فاس:
يعتبر المولى إدريس الثاني هو باني مدينة فاس في سنة (192) هـ
ورفع يديه عند إرادة الشروع في بنائها ودعا لها ولأهلها وقال:(اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى فيها كتابك وتقام فيها حدودك، واجعل أهلها متمسكين بالكتاب والسنة ما أبقيتها) فلم تزل دار علم وإقامة سنته ببركة دعائه.
وقد تم بناء العدوتين في عهد إدريس الثاني وتوافد إليهما الكثير من الأسر الاندلسية، ثم بناء أول جامع للخطبة هو جامع الأشياخ، كما بني جامع الشرفاء.
جامع القرويين:
نسب تأسيسه إلى فاطمة الفهرية أحد العرب المهاجرين من القيروان، وقد بنت جامع القرويين من المال الذي ورثته من والدها وكان الشروع في بنائه سنة (245) هـ، وكان المسؤول عليه قاضي المدينة، والمواد الدراسية ترتبط بالعلوم الشرعية من فقه وتفسير وأدب، وعاش منذ البداية على نظام الوقف، وقد انعكس تراجع دور القيروان وجامع الزيتونة عليه بحيث عظم دورها وتعززت في الغرب الإسلامي من حيث رفع لواء المذهب المالكي وتعزز بالتفاف مدرسة قرطبة حول فاس إذ رحلت إلى فاس أكثر من (400) أسرة قيروانيه منهم.
فقد كان ولازال هذا الجامع مركز إشعاع علمي وثقافي قوي، وكان له الفضل في خدمة المذهب المالكي وترسيخه في ربوع المغرب بما خرجه من علماء أكفاء أقوياء، لهم باع طويل في فقه المذهب المالكي وأصوله وقواعده وأقوال أئمته ومرويات إمامه واستنباطاته واجتهاداته الفقهية المنقولة ..

المبحث الثاني: تأسيس المدرسة المالكية على يد المولى إدريس الأكبر
تتضارب الروايات التاريخية أن المذهب المالكي انتقل إلى المغرب الأقصى من الأندلس وأن المغاربة قبل اعتناقهم للمذهب المالكي كانوا على مذاهب شتى من حنفية وخارجية ومعتزلة إلى غير ذلك كمذهب الأوزاعي.
وقد جزم الكتاني أن المولى إدريس كان على مذهب الإمام مالك ودعا الناس للأخذ به واتباع منهجه وجعله مذهبا رسميا للدولة معززا ذلك بقوله (نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه الموطأ).
وقد أرسى المولى إدريس أصول المذهب المالكي في المغرب الأقصى بتكليف منصب القضاء إلى" عامر بن محمد بن سعيد القيسي تلميذ مالك "الذي سمع منه المولى إدريس وغيره من الفقهاء ما رواه مالك فكان عامر بذلك أول من أدخل الموطأ إلى المغرب الأقصى وتبناه المغاربة منذ عهد المولى إدريس الأول فقها واعتقادا ونظاما ومازال إلى الآن ويرجع الفضل إلى المولى إدريس الذي عمل من أجل مغرب موحد التلاوة والعقيدة والمحراب والحرف.

هذا الأمر جنب بلاد المغرب الأقصى الكثير من القلاقل والنزاعات التي عرفها إخواننا في المشرق بسبب تعدد مذاهبهم ونحلهم المختلفة.

وكان المغاربة في أول عهدهم بالإسلام على مذهب جمهور السلف، أصولا وفروعا، اعتقادا وتشريعا، كمذهب الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام الأوزاعي وغيرهما، إلى أن استقروا على مذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أيام الأدارسة، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن والمغرب على مذهب الإمام مالك، حتى عرف به واشتهر بالضلاعة في فقهه والتفوق في حذقه وخدمته، والتبريز في التنظير له والدفاع عنه. وصار له بذلك رسوخ فيه ومعرفة عميقة واسعة بأصوله وفروعه.

واشتهار المغرب بالمذهب المالكي دون غيره منذ بزوغ فجر الدولة الإدريسية إلى الآن، أمر أطبق عليه المؤرخون والمتتبعون لهذا الشأن وتناقله العلماء خلفا عن سلف، قال ابن خلدون في مقدمته: " وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته.. (2) " وقال الناصري في الاستقصاء: "والمعروف أن مذهب مالك ظهر أولا بالأندلس ثم انتقل منها إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة.

، ومنذ ذلك الحين عرف المغاربة حركة علمية مزدهرة بدأها المولى إدريس الأكبر وغداها ابنه إدريس الثاني وساعده على ذلك نخبة من المغاربة الأخيار الذين هاجروا إلى المشرق للحج والرواية والمعرفة فأخذوا عن علمائها ورووا ونقلوا علوم الإسلام وكتبه حتى عادوا إلى المغرب وقد حملوا معهم كتب الفقه والحديث وأخذوا في نشرها بين الناس.

وتفيد بعض الروايات الأخرى أن المولى إدريس كان معتنقا للمذهب الشيعي الزيدي ولم يحاول فرضه على المغاربة الذين أخذوا بالمذهب المالكي منذ أن تتلمذ بعضهم على يد مالك بن أنس وفضل بدلا من ذلك التعاون مع فقهاء المالكية في القضاء على المذاهب الخارجية وفي مقدمتها برغواطة.

وسار ابنه إدريس الثاني على نفس النهج فلم يدخل معركة خاسرة مع فقهاء المالكية، فقد وفدوا في عهده من الأندلس بعد وقعة الربض سنة (202) هـ، وسعى في استقطابهم جميعا.

وفي هذه الحقبة أيضا تم إدخال المذهب المالكي وذيوعه في أوساط المغاربة فما كان القرن الرابع (4) الهجري حتى شرف على النهاية وتجذرت أصول المذهب المالكي في جميع مرافق الحياة العامة.

ويمكن تفسير موقف الأدارسة المرن من المذهب المالكي بكونه جاء لنتيجة لموقف الإمام مالك من العباسيين لصالح أخ المولى إدريس المسمى محمدا والمعروف بالنفس الزكية، حيث أفتى عند قيام الأخير بأن بيعة أبي جعفر لا تلزم لأنها كانت على الإكراه، وأفتى بطلان الطلاق المكره وسقوط يمين الإكراه على العموم اعتمادا على الحديث الشريف (ليس على مستكره يمين).

وأيضا أن مالكا يروي في موطئه عن عبد الله الكامل والد إدريس الاول.

المبحث الثالث: موطأ الإمام مالك أول كتاب حديثي في عصر الأدارسة

فقد روى الكتاني في الأزهار العطرة: أن كتاب الموطأ كان أول كتاب حديثي نقل في عهد إدريس الأزهر نقله قاضيه (عامر بن محمد القيسي).

وفي ذلك يقول وذلك أنه لما ذكر أن قاضي هذا الإمام هو:

عامر بن محمد القيسي، قال ما نصه (سمع من مالك وسفيان الثوري وروى عنهما مؤلفاتهما وقدم بها إلى المغرب فسمع منه ما رواه إدريس وغيره من علماء الوقت بالمغرب وتبعه في تقليده

لمالك وعلى مذهبه كان إدريس وجميع العلماء من أهل المغرب الأقصى بسبب تقليد إدريس وتحصيله كتاب الموطأ وحفظه له.).
وكان سبب اشتهار مذهب مالك بالمغرب واقتصارهم عليه أمر إدريس الأول لهم باتباعه رواية مالك في الموطأ عن جده عبد الله الكامل.
كما نذكر من هذه النخبة طائفة من العلماء كان لهم الفضل في ازدهار الحركة الثقافية ونموها بالمغرب حيث رحلوا ورووا وأخذوا ثم رجعوا فعلموا وأفادوا أمثال:
أبي هارون البصري الذي كان أول من أدخل كتاب ابن المواز- وابن العجوز- وابن جيدة بن أحمد - وابن أحمد الأصيلي - وعيسى بن سعادة وغيرهم.
وقد أشار إلى هذا صاحب الفكر السامي فقال: "فصنف مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين وبوبه على أبواب فأحسن ترتيبه وتبويبه فكان كتابا حديثيا فقهيا "جمع فيه بين الأصل والفرع، فهو أول تدوين يعتبر في الحديث والفقه، إذ أقبل الخلف عليه وانتفعوا منه لتحريه في النقل وانتقاء أحاديثه ورجاله وفصاحة عبارته وحسن تبويبه الذي استحسنه كل من بعده إلى الآن، وهو أول من تكلم في أصول الفقه وفي الغريب من الحديث وفسر كثيرا منه في الموطأ.
أما في الأندلس فقد أدخل الموطأ يحيى بن يحيى الليثي الذي درس على مالك ولما قوي نفوذه لدى بني أمية في الاندلس أواخر القرن الثاني وأصبح تعيين القضاة بمشورته ومع أن الموطأ روي بخمسة عشر (15) رواية فإنه لم تبق إلا "رواية محمد بن الحسن الشيباني ورواية يحيى بن يحيى الليثي ت234هـ."
وخلاصة القول إن المذهب المالكي تأسس بالمدينة المنورة على يد الإمام مالك وانتشر في جميع الآفاق، وحمله تلاميذه وقصاده والراحلون إليه إلى مختلف الأقطار والأصقاع، وقد دخل المذهب المالكي عبر إفريقية وتأسست المدرسة القيروانية على يد علي بن زياد التونسي وهي امتداد للمدرسة المغربية التي نشطت في فاس على يد دراس بن إسماعيل (357) الذي يعتبر أول من أدخل مدونة سحنون إلى فاس.
ومن أبرز رجالها:
- أبو جيدة بن أحمد البر نسي فهو من كبار فقهاء فاس. ت365هـ
- عبد الله بن إبراهيم الأصيلي التي ينتمي إلى أصيلا، ت 372هـ

المبحث الرابع: الإمام مالك المحدث

فبإجماع الآراء يمكن اعتبار الإمام مالك هو المحدث الأكمل، والحافظ الأمثل التي استحق عن جدارة أمير المؤمنين في الحديث كما أطلق عليه أقرانه من الحفاظ، يقول ابن إسحاق "" وقال الحافظ الذهبي: وهو من أهل الاستقراء التام، " وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره "، وذكر منها: اتفاق الأمة على أنه حجة صحيح الرواية، وتجمعهم على دينه وعدالته. وقال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات: واجتمعت طوائف العلماء على إمامته وجلالته وعظم سيادته وتبجيله وتوقيره، والإذعان له في الحفظ والتثبيت وتعظيم حديث رسول الله.
وانطلاقا من هذه الشهادات يمكن وصف الإمام مالك المحدث بأنه حافظ وناقد وحجة.
مالك الحافظ: نبغ الإمام مالك في الحديث في مقتبل العمر إذ يحدثنا شعبة بن الحجاج أنه دخل المدينة ونافع حي ولمالك حلقة، وقد بدأ يحدث في حياة شيخه نافع مولى ابن عمرت -120 هـ ومعلوم أن مالكا ولد في سنة 93هـ، فيكون قد حدث بمسجد رسول الله وهو في نحو 25 سنة من عمره.
مالك الناقد: فقد اشتهر عنه قوله "إن العلم دين فانظروا عمن تأخذوا دينكم، لقد أدركت سبعين ممن يحدث قال: فلان، قال رسول الله عند هذه الأساطين وأشار إلى مسجد رسول الله فما أخذت منهم شيئا، ولو أن أحدهم لو ائتمن على بيت المال لكان أمينا، لأنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن وقدم علينا ابن شهاب فكنا نزدحم على بابه.

مالك الحجة: قال الشافعي من أراد الحديث الصحيح فعليه بمالك والثوري: ما أقدم على مالك من صحة الحديث أحدا والقطان: ما في القوم أصح حديثا من مالك يعني الأوزاعي والسفياني وابن معين: أخذ المتقدمون عن مالك ووثقوه وكان صحيح الحديث، وكان يقدمه أصحاب الزهري.
وروى الخطيب في الكفاية عن يحيى بن بكر أنه قال لأبي زرعة الرازي، ليس ذا زعزعة عن زوبعة إنما ترفع الستر فتنظر إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة، حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر، ولذلك جعل البخاري أصح الأسانيد- مالك عن نافع عن ابن عمر، وقال أبو داوود حديث رسول الله ـ ص ـ مالك عن ابن عمر- ثم مالك عن الزهري عن سالم، ثم مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، ولم يذكر شيئا غير ذلك.1
ونقل الحافظ السيوطي عن الحافظ العلائي: أن أصح حديث في الدنيا ما أخذ عن الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر.
آثار مالك الحديثية: كان عند الإمام مالك من حديث أهل المدينة نحو 12.000حديث حدث بثلثها أي ب نحو4.000 حديثا احتوى الموطأ منها بأوسع رواياته على 600حديث وكسر.
والأحاديث التي حدث بها ولم تكن في الموطأ تعرف بغرائب مالك، وهذه تسمية اصطلاحية.
في مقابل أحاديث الموطأ التي تواترت عنه باعتبار ما سمعها منه الجمع وقد جمع عدد من العلماء غرائب مالك وقوموها صحة وحسنا وضعفا بالنسبة إلى الرواة عنه، لأنه إذا كان الراوي عنه ثقة فحديث مالك صحيح بلا شك ولا خلاف
وقال ضياء الدين ابو القاسم عبد الملك بن يزيد بن ياسين الدؤلي ـ ت ـ598 هـ، في كتابه الرسالة المصنفة في سبيل السنة المشرفة، أخذ مالك عن900 شيخ منهم 300 من التابعين و600 من تابعيهم، ممن اختاره وارتضى دينه وفقهه.
وقيامه بحق الرواية وشروطها وخلصت الثقة به، وترك الرواية عن أهل دين وصلاح لا يعرفون الرواية.
ومما ختم به الحافظ الذهبي ترجمته من تذكرة الحفاظ حيث قال: وقد اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت في أحد، أحدهما: طول العمر، وعلو الرواية، وثانيهما: الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم، وثالثهما: اتفاق الأمة على أنه حجة صحيح الرواية، ورابعتها تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه للسنة وخامستها: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده فقد عاش 86سنة كلها حافلة بالعلم والعطاء وتوفي رحمه الله سنة 179للهجرة.

المبحث الخامس: أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى.
اختلف الباحثون في أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى وتشبتهم به حيث تقبله المغاربة وتمسكوا به مذهبا وحيدا بحيث أصبح شعارا لشخصيتهم ورمزا لوحدتهم ويمكن إرجاع ذلك إلى الأسباب التالية:
ـ ارتباط المذهب المالكي بالسنة النبوية، فالمرجع الأول فيه الموطأ وهو كتاب حديث، وقد دخل هذا الأصل إلى المغرب الأقصى منذ العهد الأول للدولة المغربية.
وفي الموطأ أهم المعالم البارزة التي تؤكد منهجية هذا المذهب وأصوله الاستنباطية وقواعده الاجتهادية وقد حظي هذ وأما مذهب الإمام مالك فاختص به المغاربة وإن كان يوجد به غيرهم إلا انهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل كما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار علم، شيخهم مالك بن أنس، فرجع إليه أهل المغرب وقلدوه دون غيره، ممن لم تصل إليهم طريقته. ا الكتاب بعناية واهتمام المغاربة دراسة لأحكامه وشرحا لنصوصه وتفريعا على أصوله.
ـ شخصية الإمام مالك فقد عرف عنه التمسك بالسنة النبوية ومحاربة البدعة، وتشبته بآثار الصحابة والتابعين، ومما يعطي الإمام مالك شخصية متميزة الأثر الوارد في شأن عالم المدينة، "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة."

ومن مظاهر الإعجاب بمالك وتقديره أن عبد الله بن غانم كان مرة يقرأ الموطأ في جماعة فقال أحدهم: أيعجبك هذا من قول مالك؟ فقام ابن غانم وألقى الكتاب من يده وقال: أو ليس وصمة علي في ديني وعقلي أن أرد على مالك قولة قالها؟ والله لقد أدركت العباد الذين يتورعون.... فما رأيت بعيني أورع من مالك.

ـ تعدد الرحلات التي قام بها المغاربة إلى الحجاز للأخذ عن إمام دار الهجرة بدءا من سجلماسة التي روي أن أحد الأعلام بها...أخذ عن الإمام مالك بالمدينة ورجع إليها ودرس العلوم بها.

ولهذا قال ابن خلدون: ـ موقف سلاطين الغرب الإسلامي إذ يذكر بعض المؤرخين أن مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس فوصفوا له سيرته بقولهم: "إنه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله فقال مالك: "ليت الله زين حرمنا بمثله فوصل الخبر إلى ملك الأندلس فحمل الناس على مذهبه"، وترك مذهب الأوزاعي ،وهذا الرأي ذهب إليه ابن حزم رحمه الله إذ يرجع سبب انتشار مذهب مالك إلى نفوذ الحكام وسلطانهم فيقول: " ومذهب مالك في الأندلس وذلك أن يحيى بن يحيى الليثي كان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء وكان لا يولي قاض من أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه.

وقد أخذ بهذا الرأي القاضي عياض حيث ذكر أن هشام ابن عبد الرحمان ثاني خلفاء بني أمية في الأندلس أخذ بهذا المذهب وصير القضاء والفتيا عليه وذلك من عشر السبعين ومائة ـ 170ـ للهجرة في حياة الإمام مالك، فالتزم الناس به وحموه بالسيف.

كان كلام ابن حزم والقاضي عياض يشير إلى سلاطين الأندلس فإن الأمر ينطبق على سلاطين المغرب الأقصى حيث حملوا الناس على الأخذ بمذهب مالك، وقد علم هذا منذ دخول المذهب إلى تلك الديار، وأكثر من هذا فقد كان عدد السلاطين يحسبون في عداد الفقهاء المالكيين بدءا من المولى إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية ثم ابنه المولى إدريس الثاني واستمر الأمر في مختلف العصور والأزمنة ومن هؤلاء السلاطين قبل سقوط الدولة الإدريسية.

ـ يحيى الأول بن محمد بن ادريس ـ ت ـ 249هـ

يحيى الرابع وكان فقهيا حافظا للحديث ـ ت ـ 309ـ هـ

خاتمة البحث

في هذه المباحث المختصرة يمكن اختصار البحث في النقاط التالية:

- أن الإمام المولى إدريس إمام مصلح ينتسب إلى ذرية المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ ويعتبر هو أول خليفة من أسس الدولة المغربية.
- أن موطأ الإمام مالك كان أول كتاب في الحديث والفقه دخل إلى المغرب الأقصى، أدخله عامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي اتخذه المولى إدريس الثاني قاضيا لما كان عليه من الورع والفقه في الدين، وكان قد سمع من الإمام مالك وسفيان الثوري وروى عنهما كثيرًا.
- وكان للمولى إدريس الثاني أثر كبير في نشر المذهب المالكي بالمغرب حيث جعله مذهبًا رسميًا للدولة، وأصدر أمره لولاته وقضاته بذلك، وعلى رأسهم القاضي عامر القيسي المذكور آنفا
- أن كتاب موطأ الإمام مالك يعتبر أول كتاب حديثي نقل إلى المغرب الأقصى في عصر الأدارسة.
- أن الإمام مالك يعد من الأئمة الكبار بشهادة كبار أئمة الجرح والتعديل والمحدثين.
- أن المغاربة تبنوا المذهب المالكي لكونه مذهبا سنيا ينافي البدع وأن صاحبه هو أعلم أهل المدينة، وأن المغاربة تعددت رحلاتهم إلى المشرق قصد الحج وطلب العلم وأخذوا عن الإمام مالك وأيضا مواقف السلاطين بأمر ولاة أمورهم بالتمسك بمذهب الإمام مالك.
- تعتبر المدرسة المالكية في المغرب الأقصى امتداد لشجرة المذهب المالكي التي نبتت في المدينة وامتدت فروعها إلى جميع الأصقاع ومن ضمنها المغرب.

- بهذه المعلومات البسيطة عن دخول أول كتاب حديثي ألا وهو الموطأ الإمام مالك الذي يجمع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نكون قد أنهيت هذا العرض المبارك أسال الله تعالى أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما جهلنا إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المراجع

1. ندوة الإمام مالك إمام دار الهجرة منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية المقامة بفاس عام 1400و1980م.
2. المغرب عبر التاريخ د- إبراهيم حركات ج1دار الرشاد الحديثية البيضاء.
3. النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون دار الثقافة ط2.
4. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس تأليف شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس الاستقصاء لإخبار المغرب الأقصا للعلامة الناصري ط 1دار الكتاب البيضاء.
5. الأزهار العاطرة الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني المطبعة الجديدة فاس المغرب
6. جذوة الاقتباس فيذكر من حل من الاعلام بمدينة فاس أحمد بن القاضي المكناسي 960-1025 للهجرة المطبعة الجديدة فاس ط 1973
7. مدرسة الإمام البخاري في المغرب للدكتور يوسف الكتاني. ج1دار لسان العرب ببيروت لبنان.